جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم العلوم التربوية والنفسية

الدراسات الاولية

المــادة / جرائم حزب البعث البائد

المرحلة / الثانية

عنوان المحاضرة / الميدان النفسي

المحاضرة السابعة

اسم التدريسي

م.م سحر فتاح معروف

2025-2024

المبحث الأول: الميدان النفسي

إن مجيء نظام الحكم السابق الى السلطة في العراق كان ضمن خطة مدروسة ومقررة منذ بدايات القرن الماضي. والخطة بدأت على شكل مراحل تكمل أحداها الآخر ابتداء من اسقاط النظام الملكي في العراق الذي كانت تؤيده بريطانيا. اذ ظهرت قوى استعمارية جديدة في العالم بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وبدأت هذه القوى الاستعمارية الجديدة بإزاحة الاستعمار البريطاني من المنطقة وكل رموزه وجاءت بالنظام الجمهوري الى العراق. ولم تعلن هذه القوى الاستعمارية الجديدة عن نفسها بشكل سافر وصريح وبقيت مستقرة واكتفت عدال بتزويد العراق وكثير من دول العالم الثالث بالمساعدات مثل الحنطة والارز والحليب مجانا لتحسين صورتها كقوى محبة للشعوب الساعية للتحرر من الاحتلال الانكليزي.

المحور الأول: الآليات النفسية والاجتماعية التي استعملها نظام الحكم السابق

افتعل نظام الحكم السابق جملة من الظواهر والآليات عند تسنمه للسلطة عام ١٩٦٨ بهدف احداث ... تغييرات عميقة في سيكولوجية الانسان العراقي وبنية المجتمع العراقي للتمهيد الى مرحلة الاحتلال العسكري للعراق لاحقاً من قبل القوى الاستعمارية الجديدة. ومن أبرز الظواهر والآليات التي أفتعلها النظام البعثي هي :

1 - ظاهرة الندرة والشحة

بدأت ظاهرة اختفاء المواد الغذائية من السوق بمجرد وصول النظام السابق للسلطة في العراق عام ١٩٦٨. حيث بدأت تختفي مواد غذائية أساسية من السوق وبشكل مفاجئ ومفتعل مثل الحنطة وما صاحبها من جلبة إعلامية حينها تتعلق بالحنطة المسمومة واختفاء معجون الطماطم والبيض والدجاج والبطاطا والسجاير.... الخ. فلم تكن تمضي مدة قصيرة من الزمن دون إختفاء مادة أساسية من السوق وبشكل كامل.

2- ظاهرة الإلهاء

ومن هذه السياسة المقصودة ظاهرة (عدنان القيسي)على سبيل المثال اذ يدأ الناس يتكلمون عليها صغارا وكبارا إلى جانب اقامة المهرجانات الغنائية والفنية واستقدام المطربين والفنانين العرب وجانب التوسع في فتح الملاهي الليلية ومحال شرب الخمور والسماح لدور السينما بعرض الأفلام وجلب الراقصات من دولة عربية معروفة وبشكل غير مسبوق وكذلك جلب بنات الليل من دول اخرى

3-آلية الرعب والتخويف

قام النظام السابق بنشر الرعب والتخويف في العراق بوسائل عدة منها اعدام المناوئين للنظام وإعدام شبكات التجسس (المزعومة) وعلى رؤوس الأشهاد لبث الرعب بين المواطنين وافتعال ظواهر اجتماعية مرعبة مثل (أبو طبر) و(تجنيد القنوات) أو ما يطلق عليهم بالمصطلح العراقي الشعبي (الأشقياء) للعمل ضمن سلك الشرطة واعطائهم رتباً عسكرية شرفية لفرض هيبة الدولة على المواطنين وبالقوة والتخويف

4- آلية الافقار والتجويع

وتتمثل هذه الآلية بظاهرة الحصار الاقتصادي التي يمكن وصفها بأنها من أخطر الظواهر التي عانى منها الشعب العراقي اذ استطاع النظام السابق بها تدمير القدرة الشرائية للمواطن العراقي وإفقاره اذ اضطر العراقيون الى بيع كل ما يمتلكونه لسد احتياجاتهم، وكذلك ضرب المنظومة الأخلاقية للمواطن العراقي ونفشي الفساد بكل أنواعه وصوره وأصبح اغلب العراقيين خصوصا في المنطقتين الوسطى والجنوبية تحت خط الفقر بمراحل عديدة، وقام النظام بافتعال شركات وهمية تقوم بأخذ أموال المواطنين ومدخراتهم بحجة الاستثمار ثم الهروب برؤوس الأموال هذه خارج العراق. وهذه الشركات في الحقيقة كانت تديرها المخابرات العراقية تحت مسميات وهمية مثل (سامكو)

وغيرها. كذلك افتعال نزول سعر صرف الدولار في عام ١٩٩٤ الى ما يقرب من ١٠٠٠٠٠ دينار عراقي بعد ان كان يبلغ ما يقرب من ٤٠ دينار عراقي حيث استطاع النظام بهذه اللعبة الاقتصادية من سحب الكثير من أموال العراقيين ومدخراتهم.

5- آلية الضغط والعقاب النفسي

وذلك بالإبقاء على ظاهرة تقليل تزويد الطاقة الكهربائية. فمن المعلوم ان النظام السابق عمل الكثير من المشاريع العملاقة في عقد التسعينات من القرن الماضي مثل برج الاتصالات في بغداد والجسر ذي الطابقين وغيرها ولكنه لم يبذل أي جهد حقيقى لحل ازمة الكهرباء بل انه استغل هذه الظاهرة لخدمته للضغط على العراقيين ومعاقبتهم بعد أحداث الانتفاضة الشعبانية فيما أبقى العاصمة بغداد خارج منطقة الضغط بتأمين الكهرباء لها بشكل دائم.

6- آلية التطهير العرقي والمذهبي

قام النظام السابق بعملية تطهير عرقي ومذهبي كبيرة اذ شجع المواطنين العراقيين والعرب، وعلى وجه الخصوص من المنطقتين الجنوبية والوسطى على الذهاب الى المنطقة الشمالية وقدم لهم مغريات في هذا الصدد، كما شجع المواطنين الاكراد على المجيء الى وسط العراق وجنوبه بهدف تغيير خارطة المنطقة الجنوبية والوسطى والشمالية. وقام بعملية تطهير مذهبي كبير

7-آلية الافقار العلمي والثقافي

قام النظام بأكبر عملية تفريغ وافقار ثقافي وعلمي في التاريخ لشعب من شعوب الأرض اذ استعمل النظام السابق عقاب الحصار المزعوم في عقد التسعينيات من القرن الماضي وقام بشكل ظاهري غير حقيقي بمنع أساتذة الجامعات والمهندسين والأطباء من السفر خارج العراق. ولكنه في الحقيقة كان يقوم بتهريبهم إلى خارج العراق بخدعة رخيصة ومكشوفة وهي دفع ما يقرب من مليون دينار عراقي للحصول على جواز عراقي (مزور) للهروب خارج العراق وبهذه الخدعة المكشوفة وضغط الحصار المخيف ترك العراق عشرات الآلاف من المهندسين وأساتذة الجامعات والأطباء الى جانب عشرات الآلاف من العمالة الوسطى الماهرة. وخير دليل على ذلك وجود ما يقرب من ٥٠٠ طبيب عراقي في انكلترا وحدها الآن.

المحور الثاني: الآثار والتبعات النفسية والاجتماعية والتربوية

سوف تتم الإشارة إلى أهم الأهداف وأخطرها التى كان المستعمر الجديد يهدف الى تحقيقها باستعمال السلطة البعثية بالآليات والظواهر التي أشير اليها سابقا كما مشار اليه في العنوان وهي:

. ١- ضرب الدين الإسلامي والقيم والعادات الأخلاقية السامية السائدة في المجتمع العراقي.

.٢- إفراغ العراق من طاقاته وقياداته الدينية والعلمية والثقافية والفنية إما عن طريق التصفية الجسدية أو بإجبارهم وبشتى الطرق على مغادرة العراق.

.٣ -ضرب أسس النظام التربوي باجبار المعلمين والمدرسين وأساتذة الجامعات ممن رفض مغادرة العراق على العمل باعة متجولين في الأسواق لتحمل تكاليف الحياة مما شجع على إعلاء قيمة الجهل والحط من قيمة الثقافة.

- تفتيت الأواصر والروابط الاجتماعية التي كانت تشد النسيج الاجتماعي العراقي وتأكيد قيم الطائفية والعشائرية والمناطقية.

ه -زرع بذور الفساد في المجتمع العراقي الذي تحصد آثاره الآن.

-زرع أحاسيس الضعف والعجز في شخصية المواطن العراقي حد الاستسلام.

-تأهيل الشعب العراقي نفسيا واجتماعيا وفكريا الى تقبل فكرة التدخل الخارجي لتخليصه من النظام الديكتاتوري - القمعي والاستبدادي، ثم تقبل فكرة الاحتلال من قبل الاجنبي لاحقاً.

المبحث الثاني: الميدان الاجتماعي

الفرع الأول: حكم العائلة واختزال الوطن في شخصية الحاكم

على الرغم من أن الدولة العراقية الحديثة قد نشأت في ظل تحديات كبرى كان من أهمها عملية صعوبة دمج مكونات مجتمعية كانت ثقافاتها الفرعية تقوم على جملة من الخلافات الكامنة فيما بينها الظاهر منها أقل من الكامن الذي تناقلته الذاكرة الجمعية للمجتمع طوال قرون من الشد والجذب إلا أن هذه الدولة كانت تسير على طريق مهما كانت عقباته كبيرة إلا أنه كان طريقاً يشق لرسم مستقبل بناء دولة موحدة ومع ذلك فشلت الحقبة الملكية (١٩٢١ - ١٩٥٨) من إقامة دولة مواطنة والنهوض بمجتمع عراقي موحد حتى مع وجود إنتماءاته الفرعية. دخل العراق بعد تموز ١٩٥٨ في سلسلة من الصراعات التي جذرت حالة عدم الوئام التام بين مكونات المجتمع وعلى الرغم من الخط الوطني الذي انتهجته حكومة عبد الكريم قاسم . تموز ١٩٥٨ – شباط ١٩٦٣ إلا أن التحديات الكبرى ظلت حاضرة تعرقل قيام حكم وطنى دون الميل أو الانحياز لجهة على حساب أخرى حيث وقفت جهات وأحزاب هي نفسها كانت لديها خلافات فيما بينها لأسقاط تجربة الحكم الوطني الذي يتعامل به العراقيين على أساس المواطنة وليس القومية أو الدين أو الطائفة.

ولقد مرت تلك المدة التي جاءت بعدها العارفية (1963-1968) ثم حكم البعث للمدة من تموز ١٩٦٨ وحتى تموز ١٩٧٩ – فترة حكم احمد حسن البكر – دون الوصول إلى مرحلة الحكم الشمولي الاستبدادي الذي تكرس لاحقا في شخص الزعيم كما حصل مع صدام حسين) الذي أصبح الزعيم الأوحد؛ إذ هو بطل النصر والسلام، وهو الذي يمنح حق الموت والحياة، ولقد جاءت القرارات المصيرية الكبرى التي أدخلت العراق في نفق الضياع نتيجة أفكار ورؤى، وأحلام شخصية بحتة؛ دخل البلد والمجتمع من خلالها في محارق الحرب مع إيران (١٩٨٨-١٩٨٠)، وغزو الكويت ١٩٩٠ ، وحرب عاصفة الصحراء ١٩٩١ ، ثم الاحتلال الأمريكي في نيسان ٢٠٠٣ ، وما بين تلك الحروب كانت هناك هجمات أمريكية بين وقت وآخر، وكانت الحرب الناعمة المميتة تتمثل بالحصار الاقتصادي (١٩٩١-٢٠٠٣) الذي أسهم في هدم البناء الاجتماعي العراقي كما أن التنمية تعطلت وارتفعت بشكل مخيف نسب الأمية، ومعدلات الفقر. ورغم كل الذي حصل تمسك رأس النظام بالأفكار التقليدية دون محاولة تصحيح او التعديل

ولقد صارت شعارات مثل إذا قال صدام قال العراق يتم تداولها يوميا في المدارس خوفا من بطش النظام، أو تملقا للحصول على منصب او للاحتفاظ بآخر. يدرك أنه يسير في الطريق الخاطئ وأنه يقود نفسه والبلد برمته نحو المجهول.

الفرع الثاني: جدلية الحاكم والمواطن بين النفاق والظلم وتعزيز ثقافة المدح

كما آثار روح النعرات القومية بين العرب والكرد رافعا الشعارات القومية التي توحي بأن الوطن هو ملك لقومية في واحدة وأن الآخرين هم مجرد مستوطنين ، عامدا الى تهجير العديد من المواطنين من ديارهم إلى أماكن أخرى سواء داخل العراق او خارجه كما فعل في حملات التسفير المستمرة للكثير من العوائل العراقية وإخراجهم خارج و حدود الوطن ورميهم على الحدود، ومنع مواطني الداخل من الانتقال من محافظاتهم والسكن في محافظات أخرى، وسحب الجنسية العراقية أو تسقيطها عن العديد من المواطنين وأثار في نفوسهم روح العداء للوطن بالتشكيك في وطنيتهم. إن انسلاخ المواطن عن شعوره بالمواطنة والانتماء الحقيقي لوطنه وتهديده المستمر بالتهجير والتشكيك ات بانتمائه ووطنيته هدد أمنه الاجتماعي، وأفقده هويته بالانتماء وأصبح يعيش في حالة الاغتراب النفسي على . الرغم من وجوده الفعلي على أرضه التي ولد فيها. وتشير الأبحاث النفسية الى ان شعور الفرد بالاغتراب النفسي الـ

داخل وطنه يهدد ذاته ويضعف ولاءه لوطنه الحقيقي ويجعله يعيش في صراع دائم من اجل إثبات وجودها النفسي مما يقلل أداءه وإنتاجه واختلال موازينه وعيشه حالة صراع مستمر مع قيم المجتمع الذي يعيش فيه محاولا الهجرة للبحث عن وطن يشعر فيه بالاستقرار والأمن

الفرع الثالث: الولاء أولا، وعسكرة المجتمع

اعتمدت الدولة العراقية منذ النصف الثاني من العقد الثامن من القرن العشرين على تعبئة الجماهير وعسكرة المجتمع ظنا منها أن هذا الأمر سيدعم بقاءها في السلطة بالاحتماء بالناس من أية أخطار قد تلحق بها من قوى سياسية مناوئة لها كما أنها كانت تظن أن انشغال الناس بالتعبئة والتحشيد سيجعلها جزءاً من جسد النظام وينسيها أي مطالب تتعلق بحقوقها في الحياة الكريمة والعيش الرغيد.

لقد استنسخ النظام السياسي في العراق الذي كان يقوده حزب البعث تجارب من أوربا الشرقية والصين والاتحاد السوفييتي والأنظمة الاشتراكية في أميركا الجنوبية في محاولة منه لتطبيقها في العراق وكان هناك جملة من الأهداف التي تصب في مصلحة النظام منها تنظيم مؤسسات رديفة للجيش يقودها الحزب مثل (الجيش الشعبي)، وتنظيمات الفتوة والشباب التي كان الفتيان يندرجون فيها برغبتهم أو من دونها بهدف إنشاء أجيال جديدة مؤدلجة تدافع عن النظام ولاحقاً تأسيس تنظيم فدائي صدام الذين.

ولقد أسهمت هذه السياسة في تجذير نزعة العنف لدى الشخصية العراقية بزرع القسوة في نفوس الشباب وسرقة أجمل سنوات عمرهم التي كان من الممكن تمضيتها بالمعرفة واللعب والرياضة والفن، إلا أن البلد تحول بعد العام ١٩٨٠ إلى معسكر كبير للتدريب على حمل السلاح وتفعيل استعماله.

الحرب العراقية الإيرانية لم تكن كافية حتى تم زج هذا البلد الصغير في محرقة جديدة من خلال الوقوع في الكمين الذي نصبته دوائر الاستخبارات الأمريكية والبريطانية فقام بغزو الكويت الذي تسبب في سلسلة من الحروب والحصار استمرت من العام ١٩٩٠ وحتى العام ٢٠٠٣ عندما أسقطت القوات الأمريكية ذلك النظام السياسي المستبد وأدخلت البلد والمجتمع في مرحلة جديدة من الصراع وعدم الاستقرار وفقدان التنمية. لقد سلبت سياسات النظام - المتعلقة بعسكرة المجتمع - من ذلك المجتمع حقه في العيش الأمن المستقر والاستمتاع بحياة صحية آمنة وطويلة؛ ففي الوقت الذي كانت فيه شعوب المنطقة تعيش التنمية على المستويات كافة، كان العراق غارقاً في دوامات الحرب والدمار.

ولقد أسهمت عسكرة المجتمع في ولادة أجيال تربت على العنف ونشأت على حالة الطوارئ المستمرة، لذا تجذرت لدى المجتمع العراقي خاصة بين الأجيال الشابة التي ولدت بعد العام ١٩٨٠، ثقافة العنف والتطرف التي ظهرت تمثلاتها بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣، فقد كان المجتمع في حالة إستعداد نفسي ثقافي على الاقتتال الأهلي دون وجود أهداف واضحة إذ كان القتل لأجل القتل وهي حالة ما كان يصل لها المجتمع لو لم يكن قد مر بظروف الحرب وإرهاب الدولة والقمع وتكميم الأفواه ومصادرة الآراء وتغول الدولة بكل اجهزتها وهي ترهب المواطن البسيط وتهدده بمختلف العقوبات بما فيها قطع الماء والكهرباء والطرد من الوظيفة وإسقاط الجنسية والتعذيب الجسدي والنفسي، والتغييب والاغتيال والإعدام.